

## الرحيل

رؤيا الافاق تقيم بعيني ولا اجسد  
 دربنا عبر الوطن  
 دربي .. والاشواك تحف به  
 وبه تنهداً حدود الزمن  
 وبطاقات السفر الباهية  
 تقتنسات العمر ، وتقذفتني  
 عبر بحور ، وصحاري ، وفري عجفاء  
 عبر قتاد الارق  
 وسهادي فسي تيسه الافق  
 لا طيف ، لا نجم ، لا وهج صباح  
 يا ليل الغاب الافريقي  
 لا الدرب الاخضر ، لا زهو الاعشاب  
 لا الرعد ولا قرع طبولك حول النيران  
 لا اللحن اللاهث كالبركان  
 في ليل « البنجر » .. في تيه طريقي  
 يزرع في دربي نجمة ليل  
 وينير الباسور الازرق  
 فلعلي اقرأ .. طيف رسالة  
 بعض سطور ... رسالة  
 همس حنين ، .. ورسيس نداء  
 يا ليل التيه ، ويا ليلية منفاي  
 لم يبق لذي سوى عود ثقاب  
 وبقايا حلم .. وسراب  
 تقنسات العمر وتقذفتني  
 عبر حدود الزمن  
 عبر بحور ، وصحاري ، وليالي سوداء  
 وغيبس لا ادريه  
 وسؤالسي الحيران  
 عبر دروب التيسه  
 لا ادريه ... فلقد آن رحيلي  
 يا الف سؤال .. وسؤال

برلين الشرقية كاظم السماوي

الوعي الضرب بالزمن نتاج معاناة عميقة تلد فلما غريبا يجعل الشاعر يحاول الإمساك باللحظة وتحديد مكانها في بيار انزمن الدافق في لابتدائية ولانهاية ، وقد انتج هذا الوعي الحاد في قصيدة « الذي يأتي ولا يأتي » فلما اكسب كل شيء نوتراً خاصاً هو روح العمل كبله ، ويدرك القارئ كيف انه كان يحاول الإمساك بالظلال الهاربة السبي نفلت من يده في حزن صامت نزيها بنات الماء . وعبارة مثل « ابع موبها » وأخرى مثل « فزورك الابد - مضى غدا ، وعاد بعد غد » ولا سيما الاولى نجسدان هذا الوعي بوضوح ، ولا شك ان هذا التسوع من الوعي بانزمن يعطي شكل الامل انذي وردت به القصيدة انطلافا ضخماً وتوبراً عجيباً يهتز فوفه الانتظار بعنف . ومن اروع تلك الصور التي تمثل هذا الوعي ايضاً ظلال عائشة التي نسحب إلى الخلف البعيد بقسوة وتلك العبارة التي تكررت اكثر من مرة وهي « ارم العماد - تفرق في ذاكرة الاحقاد » .

ان لنا ان نتحدث عن المضمون الذي توفره اتفه بيده : ان القصيدة الجيدة تسيد بالانسان في ذنه الاجتماعي والكوني وترد له كرامته وتزيل عن وجهه دفعة النل والمهانة ، وهذا ما يفعله قصيدة « الذي يأتي ولا يأتي » فقد عرضت علينا الانسان الاعزل الجائع الذي يدثع كل الالام واسمجون والاصفاد ليحصل على شهادة ميلاده كإنسان كريم في هذا الكون ، وفي جزء انوريت نرى الانسان وريث هذا العالم « يخوم حول سورة عريان - فاكهة محرمة » منسجماً مهاناً ، ذاته محرمة عليه من « مدن بلا ربيع مظلمة - مفتوحة ، مستسلمة - بحيا على العنتاب » لاهنا على فارعه الطريق « يبحث عن وظيفة شاغرة في صحف الصباح » تدير الارفام رأسه الذي فرغ حتى من الاحلام « يفرغ فتم حديث المساء - حياته الجوفاء » ولماذا لا يسميه باسمه ؟ انه كلب ! « يبحث عن مكان - يموت فيه صافراً ، كالكلب ، بالجان » .

ولن خيط النور ينتصب في مقابل صورة الانسان ملك ، سامع الصق ، ويرينا ما نعمله الايام للستر من انصار عظيم عندما « يحطون بيضة النسر ويولدون » ، من كل هذه الاوجاع التي يكابدها الانسان . وخيط النور يبرش « بالذي يأتي » . ولا أعفد ان هناك ما يسرر ان نجعل « الذي يأتي » شيئاً غامضاً كما قد يفهم من كلام الدكتور احسان سبس عنه في عدد الشهر المماز ( مارس ١٩٦٦ ) من مجلة الاداب ، فهو كما فلنا ذلك النجم المنظر الذي تكلم عنسه الحيام بوضوح شديد في « محاكمة نيسابور » .

وبمجيء « الذي يأتي » يخيل الى المرء ان خيط النور سوف يستحيل الى بطولات في ذاكرة الانسان ، فقد انتهت كل آلامه ، الا ان السحدي العظيم عندما يعود الانسان الى صراعه الاصيل مع الطبيعة ، مو الموت الذي يخرج لسانه للانسان في هزيمته وانتصاره ويحكم عليه بالانهاء في اعظم ساعات فرجه ، وهكذا نهنا القصيدة وجها لوجه امام النل الكوني .

ما موقف الانسان من هذه المهانة الكونية ؟ ان هذا السؤال هو الذي يوجه حفا الى القصيدة . فالرد على المهانة الكونية لا يكون الا بتأكيد الحياة في اطلاقها ، الامر الذي يقضي على سؤال يقول . « ولماذا لا ينسحب الانسان من الكون طالما ان النل يلاحقه في كل الاحوال ؟! » .

والقصيدة وان لم تقم بهذا التأكيد على نحو مباشر الا انها توفر في النهاية حرية كبيرة نصل اليها فتقذف بنا مرغمين الى تأملات من شأنها ان تزيد من حدة ايكاريتنا التي تتخطى حتى شرط الموت من ناحية وتؤكد ان معاناتنا تبدأ من وجودنا الذي هو اكبر واشمل منها واعتقد ان تبرير الحياة في مقابل الموت تبريراً واضحاً هو الذي يعطي لخيط النور قيمته ، فشهداء الانسانية انما يحاولون - كما يقول تارو في رواية الطاعون لالبير كامو - ان يحفظوا القداسة في كون لا اله فيه وليس هناك ما يدفع الى بلوغ تلك القداسة غير الافتتاح التام بالحياة .

خيل سليمان كلفت

القاهرة